جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

الأمن الرياضي: المفهوم والأبعاد

د. محمود إبراهيم شبر

٢٠٠٤م

الأمن الرياضي: المفهوم والأبعاد

د. محمود إبراهيم شبر

الأمن الرياضي: المفهوم والأبعاد

١ . الأمن كحاجة إنسانية

تمثل الحاجات (Needs) مطلباً أساسياً للكائن الحي بعامة والإنسان بخاصة . ولكون الإنسان أرقى الكائنات الحية، فإن متطلباته في إشباع حاجاته ترتقي مع ارتقاء المجتمع وتطور مفاهيمه المتعلقة بالقيم، العقائد، والأخلاق .

والحاجة ـ في علم النفس ـ تعني : رغبة ملحة عند الكائن الحي في شيء ما ينقصه ولا يمكنه العيش بدونه، مما ينتج عن عدم إشباعها حالة من التوتر العضوي والنفسي تستمر معه ولا تزول إلا بعد الاستجابة لتلك الرغبة . ويوجد اختلاف بين العلماء المعنيين في تقسيم أنواع الحاجات، فقد قسمها بعضهم إلى حاجاتلفسيولوجية وأخرى سيكولوجية، بينما قسمها آخرون إلى حاجات أولية (فطرية) وحاجات مكتسبة (ثانوية) . وتمثل الحاجة إلى الأمن إحدى الحاجات المهمة للإنسان مثلها في ذلك مثل الحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى النجاح، والحاجة إلى الاحترام وتأكيد الذات (الإدارة العامة لقوات الأمن المركزي، ١٩٨٩م، ؛ الخولي، ١٩٩٦م،) .

٢ . معنى الأمن ومفهومه

تشير كلمة «الأمن» في اللغة ـ وفقا لما جاء بمختار الصحاح ـ إلى أنها ضد الَخَوف وهي مشتقة من الفعل أَمِنَ بمعنى فهم وسَلِم (الرازي، ١٩٨٧م) . ويوضح المعجم الوسيط المقصود بالفعل «أَمِن أمناً وأماناً» بمعنى

اطمأن ولم يَخف، فهو آمِن وأمِن البلدُ: أي اطمأن فيه أهله، وأمِن الشر أَي سلِم.

ونظراً لأهميته، فقد اتخذ مفهوم الأمن ـ في الآونة الأخيرة ـ صوراً وأشكالاً متعددة، فهناك مثلا الأمن القومي، والأمن السياسي، والأمن الاقتصادي، والأمن الاجتماعي، وأمن الأفراد، وأمن المنشآت والأمن الرياضي.

وفيما يتعلق بتوضيح بعض من هذه المفاهيم كالأمن القومي على سبيل المثال، يؤكد «زود، السيد» على اتفاق العديد من الباحثين على حداثة الدراسات المهتمة بهذا الموضوع ليس على الصعيد العربي فقط بل على الصعيد العالمي أيضاً، إذ أن الاهتمام بدراسات الأمن القومي أتى متوافقاً مع ظروف عالمية وعسكرية جديدة أعقبت الحرب العالمية الثانية والتوازنات التي خلفتها بين القوى الدولية آنذاك. ومع تغيرات حدثت في نصف القرن الماضي تحولت قضية الأمن إلى قضية محورية في تفكير الدول وفي توجيه سلوكها السياسي (الإدارة العامة للأمن المركزي، ١٩٨٩م).

أما فيما يتعلق بالأمن الرياضي، فقد ارتبط هذا المفهوم بالعديد من حوادث الشغب والعنف في ميدان الرياضة، حيث ما زالت أحداث العنف والشغب التي حدثت في مباراة كرة القدم عام ١٩٦٤ بين الأرجنتين وبيرو من الأحداث الماثلة أمام أعين كل من الرياضيين، والمسئولين، والجماهير المحبة للرياضة. وقد كان ضحية هذه الأحداث ٣١٨ قتيلاً في الإستاد الأوليمبي في «ليما» Lima (عاصمة بيرو). كما يحفل التاريخ الرياضي بوقائع عديدة وأحداث جسيمة تتصل بالعنف والشغب في الرياضة. وتحتفظ كرة القدم بالصدارة في هذا الجانب، حيث يذكر التاريخ أن محكمة

«مانشستر» Manchester أصدرت حكماً في تاريخ ١٢ أكتوبر ١٩٠٨ بتحريم لعب كرة القدم، وقد ذكرت في حيثيات هذا الحكم أحداث ومساوئ العنف التي تكتنف مبارياتها. وقد وقعت أول حادثة عنف خطيرة في ملعب كرة القدم في إحدى حدائق انجلترا عام ١٩٠٢. وفي عام ١٩٦٩، اندلعت حرب بين الهندوراس Honduras والسلفادور Salvador سميت باسم حرب كرة القدم. كما أن سلسلة الأحداث المؤسفة التي كانت شبه دائمة ومصاحبة لمباريات كرة القدم بين بعض الفرق الاسكتلندية كانت غالباً ما تسفر عن قتلى وجرحى، وفي تركيا فقد ٤٢ فرداً حياتهم نتيجة شغب في مدرجات المتفرجين المتعصبين لفريقين متنافسين (الخولي، ١٩٩٦م).

٢ . ١ . تعريف الأمن الرياضي

نظراً لندرة المراجع المتخصصة التي تناولت هذا الموضوع من وجهة نظر الباحث فقد وضع الباحث التعريف الإجرائي الآتي:

الأمن الرياضي هو: الجانب الأمني المتعلق بحماية الجمهور الرياضي، واللاعبين، والحكام، وكبار الشخصيات الحاضرة لمشاهدة البطولات والمسابقات الرياضية، وكذا حماية الممتلكات العامة والخاصة من أي اعتداء مباشر أو غير مباشر، وذلك بمراعاة الجوانب التي توفر استقرار الحالة الأمنية واستتبابها للجميع خلال البطولات والمسابقات وقبلها وبعدها.

٢ . ٢ . دواعي الأمن الرياضي (ونماذج من أحداث ووقائع تاريخية)

لم تقتصر أحداث الشغب والعنف على ملاعب كرة القدم فقط، بل امتدت إلى مباريات كرة الماء Water Ball عندما تقابل فريقا المجر والاتحاد السوفيتي (السابق) خلال الألعاب الأولمبية في ملبورن باستراليا، ودارت

المباراة في جو عنيف للغاية حتى قيل إن ماء المسبح أشبه ببركة دم كبيرة، مما دفع الحكام للنزول إلى الماء بكامل ملابسهم الرسمية للفصل بين الفريقين (الخولي، ١٩٩٦م).

ولا تزال أحداث العنف والشغب تطرق أبواب الرياضة وبشكل بالغ للغاية، ففي الآونة الأخيرة، ذكرت جريدة أخبار الخليج في عددها الصادر بتاريخ ١١ يونيو ٢٠٠٠م، أنه في اجتماع عاجل لاتحاد زيمبابوي بعد مصرع ١٢ شخصاً في هراري أعلن أحد المسؤولين في اتحاد زيمبابوي لكرة القدم أن الأخير سيعقد اجتماعاً عاجلاً بعد مصرع ١٢ شخصاً بسبب التدافع الذي حصل في الملعب الوطني في هراري خلال مباراة زيمبابوي وجنوب أفريقيا في الجولة الثانية من منافسات المجموعة الخامسة ضمن الدور الثاني من تصفيات أفريقيا المؤهلة لنهائيات كأس العالم ٢٠٠٢م وكانت الشرطة قد استخدمت القنابل المسيلة للدموع لتفريق المشجعين الذين ألقوا بالزجاجات الفارغة على أرض الملعب تعبيراً عن سخطهم لأداء لاعبي منتخب بلادهم فحصل تدافع على بوابات الخروج مما أسفر عن مقتل ١٢ مشجعاً وإصابة آخرين، وقال ذلك المسئول: سيتم خلال الاجتماع دراسة الظروف التي أدت إلى هذه المأساة وانعكاساتها المحتملة، وكانت المباراة قد توقفت في الدقيقة ٨٢ مباشرة بعد تسجيل جنوب أفريقيا هدفها الثاني(أخبار الخليج، ٢٠٠٠م).

وعقب أربعة أشهر تقريباً، ذكرت جريدة أخبار الخليج في عددها الصادر بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م تحت عنوان: عنف المشجعين يجتاح إيطاليا:

اجتاحت أعمال العنف من جانب مشجعي كرة القدم أنحاء متفرقة من إيطاليا. فقد وقعت اشتباكات بين المشجعين والشرطة في نابولي وألقى مشجع قنبلة داخل استاد رياضي بمدينة أخرى، وهاجم مشجعو نادي بريشيا سيارة تقل ابنة رئيس النادي. وألقى العشرات من مشجعي نابولي الحجارة على الشرطة عندما تقدم نادي بولونيا على فريقهم وهو يلعب على أرضه ٣/ ١ بعد الشوط الأول وردت الشرطة بإطلاق الغازات المسيلة للدموع وتوقفت المباراة لفترة قصيرة لتمكين حارس مرمى بولونيا من العلاج بعد أن تأثر من الدخان. وترك العديد من المشجعين الاستاد قبل فترة طويلة من انتهاء المباراة التي انهزم فيها نابولي ٥/ ١ (أخبار الخليج، ٢٠٠٠م).

وفي عددها الصادر بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٩٩، أبرزت جريدة الشرق الأوسط جانب العنف الذي أصبح يسود مباريات كرة القدم على وجه خاص، حيث ذكرت الجريدة بأنه في مساء يوم الاثنين الموافق ٢٧ سبتمبر ١٩٩٩م، وفي لقاء فريقي ليفربول وايفرتون في الدوري الإنجليزي الممتاز لكرة القدم طرد حكم المباراة ثلاثة من اللاعبين، بينما رأى الملايين ممن شاهدوا المباراة على شاشة التليفزيون بأنه كان يجب على الحكم بأن يطرد لاعبين آخرين عقاباً لهما على الخشونة العنيفة التي عرقل بها كل منهما أحد خصومه من الخلف لكن الحكم اكتفى برفع بطاقة صفراء أمام وجه كل منهما ليصل عدد اللاعبين الذين تلقوا إنذارات خلال تلك المباراة إلى أحد عشر لاعباً غير المطرودين. وفي تلك الليلة، شاهد الملايين أيضاً مباراة جانبية في صفع الأوجه بين فرانسيس جيفرز مهاجم ايفرتون وساندر ويسترفيلد حارس مرمى ليفربول علاوة على مواقف في مهارة استخدام الكوع، أو الذراع، أو شد القمصان، وطرح الخصم أرضاً وما إلى ذلك من المخالفات الغريبة. وخلال التسعون دقيقة لمباراة كرة القدم كان جزءاً كبيراً منها أشبه

بحرب قبلية لم يبق فيها أمام اللاعبين سوى الإمساك بخناق بعضهم بعضاً وتحويل المباراة إلى نوع من الملاكمة بعدما سجل ايفرتون الهدف اليتيم في الدقائق الأولى وضمن به الفوز (الشرق الأوسط، ١٩٩٩م).

وفي هذا العصر الذي يكثر فيه الحديث عن تردي المعايير الرياضية عموماً لا بد لنا من أن نسجل صراحة هنا أن كرة القدم تواجه خطر تراجع تلك المبادئ التي دفعت الملايين على مر السنين إلى التدفق إلى الملاعب، للاستمتاع بما يتحلى به الأداء الكروي من سلاسة، وسحر، وجاذبية آخذة.

لقد أصبحت برامج مباريات الدوري المحلي والبطولات المحلية والإقليمية والقارية والعالمية مكتظة إلى الحد الذي لا يمكن لأحد معه إلا أن يدق جرس الإنذار. فالغاية الأساسية من هذا الازدحام هو تمكين الأندية من دفع عشرات الآلاف من الجنيهات الإسترلينية لكل لاعب في كل أسبوع. فهل يعطى اللاعبون عائدا عادلا مقابل تلك الأموال أم هل صارت الأندية هي التي تدفع الثمن؟

لقد صادق الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) قبل بدء نهائيات كأس العالم في فرنسا في صيف عام ١٩٩٨ على مجموعة من القواعد وأصدر ما عرف بـ«القانون الثاني عشر» الذي اعتبر أية مهاجمة أو عرقلة من الخلف «مخالفة صريحة لقانون اللعبة».

مثل تلك الفلسفة من الاتحاد الدولي (ألفيفا) الإجراءات التي يتخذها الاتحاد الإنجليزي وعشرات الإجراءات التي تتخذها الاتحادات الوطنية المختلفة هي أمور نبيلة تستحق الثناء، لكن تبقى المفارقات التي يشاهدها الملايين على شاشات التلفزيون كل أسبوع: شد القمصان، وتطويق الخصم بالذراع، واستخدام الكوع لضرب الخصم، والعرقلة المتواصلة، والإيقاع

المتعمد وصد الكرة أو استقبالها باليد حين تكون عين الحكم غافلة وخداع الحكم وتعمد الوقوع في منطقة الجزاء أو التظاهر بالألم المبرح بعد مخالفة بسيطة واستخدام اللغة البذيئة ضد الخصم أو مشجعيه أو حتى المشرفين على إدارة المباراة وما إلى ذلك وما على المرء إلا أن يشاهد عدداً محدوداً من المباريات التي تجرى كل أسبوع وتبثها محطات التلفزيون كي يدرك مدى عنف المخالفات هذه الأيام ومدى الآثار السلبية التي تتركها في الأجيال الناشئة التي يحلم أبناؤها بمحاكاة أبطالهم الكروبين والسير على خطاهم. ففي أسبوع واحد طرد الحكام ٢٧ لاعباً في بريطانيا وحدها. ومن بواعث القلق لدى الكثيرين ممن يهمهم الصالح العام للرياضة أن اللاعبين أصبحوا يعتبرون طردهم أو إنذارهم بعد المخالفات البشعة التي يرتكبونها، جزءاً لا غنى عنه من متاعب اللعبة وضرورات المهنة بعدما كان اللاعبون في السبعينات والثمانينات وما قبلها من القرن الماضي يرون في تلك العقوبات مدعاة للخجل بل وللشعور بالعار.

ولا تقتصر هذه الصورة على لاعبي الأندية والمباريات المحلية وإنما تشمل أيضاً المباريات الدولية التي تجمع المنتخبات الوطنية. ففي المباريات الدولية، التسع الأخيرة التي لعبها المنتخب الإنجليزي طرد الحكام أربعة من لاعبي انجلترا. ولا يفتأ الإنجليز يذكروننا حتى اليوم بطرد ديفيد بيكام في المباراة التي لعبتها انجلترا ضد الأرجنتين في نهائيات كأس العالم في فرنسا (١٩٩٨)، ويلقون اللوم عليه لخسارتهم. بل وذهبت بعض الصحف إلى اتهامه بجرم يرقى إلى درجة «نسف» المنتخب الوطني. ولا يستطيع المرء أن يفهم كيف يمكن للجماهير أن تتهمه بالنذالة والسذاجة والأنانية والقضاء على أحلام الإنجليز الوطنية، وان تصفق في الوقت نفسه وتهتف للاعب

إنجليزي آخر هو ديفيد باتي حين طرده الحكم خلال المباراة الأخيرة التي لعبتها انجلترا ضد بولندا في تصفيات كأس الأمم الأوروبية في مدينة وارسو .

من الواضح أن كرة القدم تعاني في السنوات الأخيرة من ظاهرة خطيرة هي رغبة الأندية واللاعبين في الفوز وتفادي الهزيمة بأي ثمن وبغض النظر عن طبيعة المخالفات التي يرتكبها اللاعبون لأن الغاية تبرر الوسيلة في رأيهم . ومن أعراض انتشار هذه العدوى- على سبيل المثال- أن الاتحاد الإنجليزي لكرة القدم قرر خلال أسبوع واحد فقط توجيه تهمة إساءة التصرف وإلحاق الضرر بسمعة اللعبة إلى أربعة من المديرين وتسعة من اللاعبين، ولكن المشكلة هي أن اللاعب الذي يتقاضى ما بين عشرين وخمسين ألف جنيه إسترليني كل أسبوع لا يكترث بفرض عقوبة أو غرامة مالية قيمتها بضعة ألاف من الجنيهات، أو حرمانه من اللعب مباراتان .

في ضوء ما سبق، فإن كرة القدم بحاجة ماسة إلى العودة إلى المبادئ والمثل الرياضية البحتة التي قامت عليها قبل أن تضيع في خضم الأحداث المؤسفة سواء المحلية منها أو العالمية، وقبل أن يصبح المال العامل الوحيد المهم فيها، وقبل أن تصبح المخالفات العنيفة والبشعة ومظاهر الخداع والغش صفات مهيمنة على مبارياتها . ولابد لهذه الرياضة من أن تضع قواعد جديدة إضافية لاحتواء المخالفات أياً كانت طبيعتها أو مصدرها، لضمان سلامة لاعبيها والآخرين ذوي العلاقة بها . فمن المفارقات التاريخية، أن المباريات كانت تجرى حتى أوائل السبعينات من القرن التاسع عشر دون أن يديرها أحد لأن فكرة الحكم لم تكن معروفة في تلك الأيام، ولأن ظواهر العنف والخشونة والقسوة لم تكن واردة . وما علينا إلا أن نتخيل مباراة واحدة هذه الأيام من دون ثلاثة من الحكام وجيش من المسؤولين الآخرين الذين

يديرونها حتى ندرك المدى الذي تردت إليه المعايير الرياضية ألبحته لكن الخيال شئ آخر فالمباريات تجرى بحكام، وقرارات الحكام نهائية حتى ولو كانت خاطئة أو مجحفة بحق أحد الطرفين وفي صور التلفزيون ما يثبت ذلك، وهذا ما جاء بعرض في جريدة الشرق الأوسط (١٩٩٩م).

وذكرت صحيفة الرأي العام في عددها الصادر بتاريخ ١٩ يناير ١٩٩٩ تلخيصاً لعدد من الأحداث الرياضية العنيفة التي شهدتها ملاعب كرة القدم هي الآتي:

ـ ٢٤ مايو ١٩٦٤، ليما، بيرو:

خلال مباراة دولية بين منتخبي الأرجنتين وبيرو في إطار تصفيات القارة الأميركية الجنوبية المؤهلة إلى دورة الألعاب الأولمبية على الملعب الوطني، سجل الفريق المضيف هدفاً في الدقيقة ٨٨ أي قبل نهاية اللقاء بدقيقتين ألغاه الحكم، مما أثار حفيظة جماهير بيرو التي تدافعت وهاجمت المقاعد المخصصة لمشجعي الفريق الضيف. وجاءت الحصيلة مأساوية بوفاة ٣١٨ شخصاً وإصابة نحو ٥٠٠ آخرين بجروح خطرة.

ـ ٣١ أكتوبر ١٩٧٦، ياوندي، الكاميرون:

في إطار تصفيات كأس العالم بين الكاميرون والكونغو، منح حكم المباراة التي جمعتهما ركلة جزاء للفريق المضيف (الكاميرون)، ونظراً لحساسية اللقاء، هاجم حارس مرمى الكونغو الحكم الذي فر هارباً ما أثار مشجعي المنتخب الكونغولي الذين ثأروا لحارس مرماهم وقتلوا مشجعين كاميرونيين.

ـ ٦ ديسمبر ١٩٧٨م، بورت أو برنس، هاييتي:

حادثة مؤسفة شهدتها هاييتي خلال مباراة منتخبها مع كوبا في إطار تصفيات مونديال ١٩٧٨ ، فعندما سجل المنتخب الكوبي هدفه الأول، سمعت طلقات نارية في الملعب من مدرجات جماهير الفريق المضيف. وقد صرع طفلان بعد أن اتجها ناحية شرطي محاولين الاحتماء به، إذ انطلقت رصاصة من مسدس الأخير عن طريق الخطأ وأصابت الطفلين علماً أن الشرطي لم يحتمل هول ما حصل، فاستل مسدسه على الفور وقتل نفسه.

ـ ٢٩ مايو ١٩٨٥، بروكسيل، بلجيكا:

قبل انطلاق صافرة البداية لنهائي كأس الأندية أبطال الدوري الأوروبي بين يوفنتوس الإيطالي وليفربول الإنكليزي على ملعب «هيسل» هاجم الجمهور الإنكليزي المتفوق عددياً نظيره الإيطالي إثر مشادات كلامية وقعت بين الطرفين. وعندما حاول الإيطاليون الفرار ونتيجة للتدافع، سقط حائط على المشجعين أدى إلى مصرع ٣٩ شخصاً معظمهم من مشجعي يوفنتوس الذي فاز بالكأس (١/ صفر).

ـ ١٠ مارس ١٩٨٨، طرابلس، ليبيا:

خلال مباراة دولية ودية بين ليبيا ومالطا وبحضور ٦٥ ألف متفرج، سقط جدار علوي بفعل تدافع الجماهير التي كانت تسعى للهروب من شخص أشهر سلاحه وصوبه نحوهم وكانت الحصيلة ٣٠ قتيلاً و٤٠ جريحاً.

ـ ١٩٨٩، لاغوس، نيجيريا:

لشدة فرحته بتسجيل منتخب بلاده هدفاً في مرمى أنغولا ضمن تصفيات كأس العالم، سقط النيجيري سام اوكواراجي أرضا قبل نهاية المباراة بثماني دقائق وفارق الحياة بعد نوبة قلبية. وعندما علم الجمهور الحاضر بالنبأ المحزن، اجتاحت المدرجات حالة من الهستيريا أدت إلى مقتل ١٢ شخصاً.

ـ ٨ يوليو ١٩٩٠، مقديشو:

قتل ٧ أشخاص وجرح ١٨ آخرون بعد إطلاق الحرس الشخصي للرئيس محمد سياد بري النار بغية تفريق الجماهير إثر خلاف نشب بينها.

ـ ١٣ يناير ١٩٩١، أوركيني، ترانسغال:

في مجزرة رياضية أخرى شهدتها أميركا الجنوبية، سقط ٤٠ قتيلاً وأصيب ٥٠ آخرون عندما أطلق حكم المباراة صافرة اعتبرها البعض خاطئة خلال لقاء ودي بين العدوين اللدودين ناديي تايغرز تشيفس واورلاندو بايارتس.

ـ ٤ سبتمبر ١٩٩٤، منروفيا، ليبيريا:

بعد خسارة ليبيريا على أرضها في ملعب «ساموبل دوي» أمام توغو صفر/ ١ في إطار تصفيات كأس الأمم الأفريقية، سقط قتيل وجرح ٢٦ آخرون نتيجة سقوط سور الأسلاك الحديدية الشائكة على الجماهير الغاضبة التي كانت تهم بمغادرة الملعب.

ـ ١٦ يونيو ١٩٩٦، لوساكا، زامبيا:

٩ قتلى و٧٨ جريحاً حصيلة عراك أعقب لقاء زامبيا والسودان في إطار تصفيات كأس العالم بين جمهوري المنتخبين (جدول ١ ، الرأي العام، ١٩٩٩م).

الجدول رقم (١)
مجموع ضحايا الشغب في الملاعب الرياضية خلال الفترة من ١٩٦٤ ـ ١٩٩٦م

السنة	١٩٦٤	١٩٧٦	١٩٨٥	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩١	١٩٩٤	١٩٩٦	المجموع
العدد	٣١٨	٣	٣٩	٣٠	١٢	٧	٤٠	٩	٤٥٨

و يتضح من الجدول السابق أن مجموع ضحايا الشغب في لعبة واحدة هي كرة القدم، وفق ما أمكن التوصل إليه من إحصاء تقريبي هو (٤٥٨ قتيلاً)خلال مساحة زمنية محدودة (٣٢ عاما) .

إن هذه الإحصائية تشير بشكل واضح إلى حجم الظاهرة (ظاهرة الشغب) وضحاياها في الملاعب الرياضية في بلدان مختلفة، كما تشير في الوقت نفسه إلى أهمية ودواعي الأمن الرياضي اللازم للمحافظة على حياة الأفراد .

وعلى الصعيد العربي، مر عنف الملاعب في المجتمع الجزائري ـ على سبيل المثال ـ بمراحل عدة على اختلاف الظروف والمتغيرات، إلا أن جوهر هذا العنف لم يتغير وبقيت سمته المشتركة استعمال عبارات التهديد إذا ما قورنت بالأعمال العنيفة التي عرفتها الملاعب خلال المراحل الماضية .

بدأت أعمال العنف خلال الستينات ببعض الشعارات العنيفة التي كان هدفها الأساسي إخافة الفرق الزائرة إذا كان يعمد جمهور فريق مولودية العاصمة إلى ترديد بعض الشعارات العنيفة مثل «الدخلة دخلتم والخرجة من أين» لإبلاغ أنصار الفريق الضيف ولاعبيه أنهم لن يكون في مقدورهم الخروج من الملعب بسلام.

وخلافاً لما كان عليه الوضع سابقاً، انتقل العنف في الجزائر من ميادين كرة القدم إلى المدرجات قبل أن يستقر في الشوارع حيث يعمد مشجعو الفرق الرياضية إلى كسر واجهات المحال وتخريب المنشآت العمومية مثل محطات الحافلات والقطارات.

وهكذا تقرر منذ عام ١٩٩٦ إجراء مباريات الفريق الجزائري على ملعب عنابة (أقصى شرق البلاد) لتفادي غضب أنصار الفريق في العاصمة، وكل ما من شأنه أن يعرض حياة لاعبي المنتخب الجزائري للخطر.

٢ . ٣ . أسباب العنف في الملاعب الرياضية

وفق آراء بعض المتابعين، فإن تنامي ظاهرة العنف في الملاعب تعود في الدرجة الأولى إلى بروز توترات اجتماعية وسياسية في البلاد تزامنت مع التعددية السياسية الناشئة.

ويقول أحد المتخصصين في علم الاجتماع إن لجوء الأنصار إلى استعمال العنف يعد أساساً شكلاً من أشكال التعبير وعدم الرضا عن الواقع القائم ومظهراً لرفض الإقصاء الاجتماعي، ويتغذى أساساً من اليأس وتنامي ظاهرة البطالة.

ومع مشاطرته هذا الاعتقاد، يرى البعض الآخر أن عنف الملاعب يعود

في الدرجة الأولى إلى العدد الكبير للمشجعين مقارنة بحجم الملاعب، وكون غالبية الأنصار من فئات متقاربة اجتماعياً، إلا أن ثمة اعتبارات أخرى ذات أهمية خاصة مثل عامل الصراع بين الأحياء والجهات المختلفة، وهي عوامل تعصب تغذي هذا العنف من حين إلى آخر.

و يعتقد البعض، أن بروز الأخطاء المتكررة التي يرتكبها الحكام تعتبر من العوامل الأساسية التي كانت وراء أحداث مؤلمة شهدتها بعض الملاعب الرياضية. وبحسب مسئولي الأمن فإن شروط عقد المباريات الساخنة غير متوافرة في غالبية الملاعب الأمر الذي يؤدي إلى أحداث مأساوية. وتذكر شهادات ثقة أن في الكثير من الأحيان يطلب ضباط قوات مكافحة الشغب ومسئولي الأمن من الحكام الذين يديرون المقابلات مساعدتهم في التحكم بالوضع من خلال تفادي إعطاء ضربات الجزاء في آخر لحظة، أو طرد أحد اللاعبين من المباراة ما لم يكن ضرورياً، وهي إجراءات « مهدئة » لغضب أنصار الفرق الذين يعمدون في كثير من الأحيان إلى مباشرة أعمال العنف بعد شعورهم بالظلم من حكم المباراة أو اعتداء لاعب من الفريق الخصم على أحد عناصر الفريق الذي يدعمونه.

وخلافاً لهذه الرؤية، يرى فريق آخر من المحللين أن نوعية الهياكل الرياضية تعد عنصراً مساعداً على بروز أحداث عنف في إشارة إلى صغر بعض الملاعب التي توكل إليها مهمة احتضان مباريات ساخنة تستقطب جماهير كثيرة.

في تحليلها لظاهرة العنف والشغب في الملاعب أبرزت جريدة الحياة في عددها الصادر بتاريخ ٢٧ يونيو ٢٠٠٠ بأن عنف الشباب في الملاعب ظاهرة أوروبية وعربية أيضاً أساسها الاضطراب الاجتماعي وذكرت الصحيفة بأنه.

ربما لا يلخص عنوان واحد ظواهر مختلفة في العالم بمقدار ما يلخص عنف الملاعب عشرات بل مئات من الظواهر العنيفة التي تتغذى من نزق الشباب وحماستهم ومن عناصر متفاوتة، يتصل بعضها بأنساق اجتماعية وسياسية، وينهل بعضها الآخر من معين الاصطفاف الديني أو العرقي. ثم تأتي في خلفية الأسباب تلك التي بدأ باحثون حديثون تداولها عن علاقة العنف بأنواع الألعاب الرياضية، فيعزون اضطرادها في أوساط مشجعي فرق كرة القدم إلى ندرة الأهداف وانحباس الأنفاس طويلاً في انتظارها، أو بأنواع الملاعب، المقفلة والمفتوحة، ودور المقاعد. في مباريات كأس الأمم الأوروبية اعتقلت الشرطة البلجيكية نحو ٩٠٠ شاب تتفاوت أعماهم بين ١٦ و ٣٠ سنة معظمهم من البريطانيين، وقامت الحكومة الهولندية بإجراءات استثنائية استنفرت خلالها طائرات عسكرية لنقل المشاغبين (الهوليغانز) (زود، ١٩٩٠م).

وترجع بعض الآراء سبب العنف في الملاعب الرياضية إلى تأثير الكحول والمخدرات.

٢ . ٤ . نماذج من محاولات ضبط الأمن الرياضي

يعد الانضباط الذي مارسه مشجعو الفريق البريطاني أصبح في وسع المرء أن يرى القدر الهائل من التنظيم الذي نجحت بلجيكا كدولة في تأديته للسيطرة على وجود نحو ١٠٠ألف زائر للمدينة بكل ما يتطلبة وجودهم من خدمات ضرورية ، فالوافدون إلى المدينة لم يكونوا كلهم مشاهدين يتوجب إيصالهم إلى الملعب ، بل إن عشرات الآلاف غيرهم كانوا يتجهون إلى مركز المدينة حيث الأمل بالعثور على بطاقة دخول في السوق السوداء.

لهذا لجأت بلجيكا إلى توزيع مناطق التجمع في حزام خارج المدينة ينتقل منه الزوار إلى الملعب بعربات نقل كبيرة خصصت للمناسبة . ويحمل كل راكب بطاقة بلون معين تشير إلى المكان الذي جاء منه .

وسمح هذا الإجراء بتشخيص موجات العابرين ومثيري المشكلات الذين يتلقاهم البوليس ، خصوصاً إذا كانوا بريطانيين ، ويضعهم في باصات خاصة تنقلهم إلى بروكسيل حيث «اليورو ستار» القطار الأوروبي السريع ، أو إلى مرافئ أو ستينوه وانتويرب حيث البواخر في انتظارهم .

في شارل روا كانت الأجواء ممتازة في ساعات ما قبل مباراة بريطانيا ورومانيا . . . فالجو كان رائعاً والسماء صافية والنوافير تطلق مياهها في الساحات العامة . لكن الجميع كان يترقب ما يمكن أن يصدر من عنف من البريطانيين. وانتشرت أقاويل كثيرة عن حيل لجأ إليها البلجيكيون والهولنديون للتخلص من العنف البريطاني . ومن هذه لجوء البلجيك إلى اعطاء البريطانين مشروبات روحية خالية من الكحول . . . أو منع أصحاب المحلات من تلبية الطلبات الملحة في أوقات مختلفة.

ساحات شارل روا اكتظت بأنواع رجال الأمن ، قسم منهم تنقل راجلاً وآخرون على دراجات بخارية أو خيل ، وسيارات مصفحة مخصصة لاعتقال المشاغبين كنت تجدها في كل زاوية . . وأنت تقترب منهم تتفسخ أسوار العدوانية الأولى ويبدأون بالحديث معك . . . والمفاجئ على عكس ما يتصور البعض ، أن بينهم متخصصين في الهندسة والضمان والتأمين واقتصاديين وتقنيين . . . لكن الفكرة التي تبقى في ذهن المراقب أن الهوليغانزية حالة طارئة أكثر منها موقفاً شخصياً .

إذًا ، ثمة فسحة من الوقت للحديث مع الهوليغانز قبل تلبسهم تلك الحالة . . . وفي شارل روا ، وهي مدينة مختلطة يشكل عمال مهاجرون من إيطاليا وإسبانيا والمغرب نسبة مهمة من سكانها ، برزت فيها مع وصول الهوليغانز والبطولة الكروية لأوروبا ، عناصر تشدد واستقطاب عنصري ، مبعثها اختلاط مشجعي الفريق التركي في الساحات والمقاهي واحتكاكهم مع البريطانيين .

قبل المباراة كانت جماعات الهوليغانز البريطانية تحتل الساحة المركزية ، ولا يكاد المرء يرى أثراً للرومانيين الذين وقفوا عند الأزقة المؤدية على الساحة يتفرجون على المهرجان البريطاني الخاص قبل أن يتحول لاعبوه إلى طقس العنف .

عندما انسحب البريطانيون إلى الملعب خلت الساحة نسبياً وغدت كأنها ساحة حرب انتهت لتوها . . .

الأطفال المحليون وجدوا الجرأة للمجيء إلى الساحة واللعب بمياه النوافير وسط أكوام العلب وكؤوس البلاستيك المكدسة في كل مكان .

وبهزيمة بريطانيا تلك الليلة عمت فرحة كبيرة لأنها عنت أن الملاعب لن تشهد الإعصار البريطاني مجدداً .

صحيفة بلجيكية قالت : «إن أحد عشر لاعباً رومانياً خلصوا أوروبا من الهوليغانز» :

٣ . الأمن الرياضي والتحليل العلمي لظاهرة الشغب

في تحليله لظاهرة شغب المشجعين في الإطار النفس اجتماعي أشار «زيجلر Zeigler » عن «الخولي ، أمين » ١٩٩٦ ص ٢٧٢ بأن دراسات

وبحوثاً قد أجريت حول ظاهرة عنف الملاعب وشغب الجماهير في المباريات الرياضية ، وقد استخلصت أن لذلك أسباب عدة أهمها :

١ ـ الحشد الزائد .

٢ ـ تأثير الكحوليات والمخدرات .

٣ ـ ضعف سيطرة المدرب على لاعبيه .

٤ ـ التحكيم الهزيل للمنافسات .

٥ ـ الجماهير المتعصبة بشدة لفريقها .

٦ ـ الأداء السلبي في مباريات حساسة .

وهذه الأسباب هي في مجموعها تمثل تفسيرات عامة للعنف والشغب في الملاعب ، غير أن العامل المشترك بينها هو وجود حشد للمتفرجين وما يتبع ذلك من متغيرات أخرى وسيطة ، ولذلك فإن هناك أكثر من رأي يرى أن المدخل الملائم لدراسة شغب الرياضة هو مدخل دراسة سيكولوجية الحشد Crowd فالحشد الزائد ليس مجرد جمع من الأفراد لا رابط بينهم ، بل هو جمع يفترض فيه حالة عقلية معينة ، وهي كما وصفها «ليبون » Lebon بأن هناك صفات جديدة تظهر لسلوك الأفراد الذين يتشكل منهم الحشد تختلف كلياً عن صفاتهم وهم فرادى خارج الحشد حيث تتلخص أهم صفات إنسان الحشد في الآتي :

١ ـ التطرف وسرعة تصديق ما يقال ، مما يمهد لخلق الاشاعات .

٢ ـ التفكير المندفع المتطرف المصحوب بالنظرة الحادة التي لا تعرف الوسطية .

٣ ـ التعصب وعدم إفساح الفرصة للمعارضة أو حتى المناقشة .

٤ ـ سيادة روح معينة ، فهي إما استبداد وسيطرة أو على التقبض خضوع وإستسلام وإنشقاق .

٥ ـ انتفاء الحس الخلقي حيث يكون في الجمع نوع من القمع للأنا والذات .

٤ . التعصب الرياضي والشغب

في تحليله لظاهرة التعصب الرياضي من قبل المدربين والمشجعين ، يشير «حسانين ، محمد صبحي « ومشاركوه ١٩٩٣ (حسانين وآخرون ، ١٩٩٣م) إلى أن التعصب Fanaticism يتضمن صوراً من مظاهر النفور والرفض والكراهية والميل للعدوان المادي أو المعنوي ، وهو سلوك مكتسب متعلم ، وهو كالاتجاه النفسي يتحدد بمعايير وقيم اجتماعية يتعلمها الأطفال من والديهم ومعلميهم وعبر وسائل الإعلام وأساليب التنشئة الاجتماعية دون نقد أو تفكير ، وينمو التعصب تدريجياً مع نمو الفرد ، ويستدخل الفرد المعايير الاجتماعية السائدة في جماعته التي تعبر عن التعصب ضد جماعة معينة (ضد فريق رياضي مثلاً) ولا يتطلب نمو التعصب ضد الجماعة المكروهة وجود احتكاك مباشر معها بالضرورة .

ويعد الشغب أحد إفرازات التعصب ، ومن ثم فهناك فرق بين المشجع العادي والمشجع المتعصب ، فالمشجع هو شخص مندمج بشكل ديناميكي ، وله دور يحدد في إطار النشاط الرياضي ودرجة الانتماء ، أما المشجع المتعصب فيمثل اهداراً لكل القيم والمعايير التي تمثل دوافع المشجع ، وهو في داخل الحشد الشغبي يمثل طاقة مدمرة .

٥ . الأمن الرياضي وعمليات الشرطة

مما تقدم يلاحظ بأن الأحداث العنيفة والمصادمات البشرية التي وصلت إلى حد التشابك والقتال العنيف بين جماهير الرياضة واللاعبين ، أبرزت ما يعرف بضرورة التدخل الأمني حفاظاً على أرواح البشر وسلامة الجماهير

واللاعبين والحكام وكذا كبار الشخصيات التي تسعى إلى حضور المباريات الرياضية كنوع من الدعم الأدبي للرياضة ، وبناء على ذلك ظهر مفهوم الأمن الرياضي الذي يعتبر جانباً من وظائف عمليات الشرطة ، والتي من أهمها كما يذكر (جمال الدين، ١٩٩٧م) بأن من أهم عمليات الشرطة هو التخطيط لمواجهة أعمال الشغب ، فالتخطيط هو الاستعداد وإعداد القائم على التنبؤ، تحسباً لما هو متوقع حدوثه من أحداث أمنية لمواجهتها وإحباط مخططاتها ، وتعرف عمليات الشرطة بأنها : العمليات والإجراءات والترتيبات والخطط التي تتخذها الشرطة في مواجهة المواقف الصعبة التي تضطرها للتدخل ـ كقوات نظامية مدربة ـ لإقرار الأمن والسكينة وفرض النظام، وبصفة خاصة في حالات التظاهر أو الشغب أو التخريب أو الاعتصام أو مقاومة السلطات. وعلى ذلك فإن عمليات الشرطة لاتخرج في إطارها العام عن كونها واجبات واختصاصات تضطلع بها أجهزة الشرطة، وتلك الواجبات والاختصاصات لايختلف إطارها من دولة إلى أخرى، والتي يمكن إنجازها للمحافظة على النظام والأمن العام والآداب وحماية الأرواح والأعراض والأحوال ، وكفالة الطمأنينة وتحقيق السكينة، وتنفيذ ماتفرضة اللوائح والقوانين من واجبات والتزامات.

٦ . تقسيم عمليات الشرطة

يمكن تقسيم عمليات الشرطة من حيث طبيعتها إلى :

٦ . ١ . عمليات ذات صفة متكررة أو دائمة

وهي عمليات تأخذ طابع العمل اليومي مثل الدوريات وتنظيم المرور . . .

٦ . ٢ . عمليات طارئة أو غير متكررة

وهي ما يتخذ في شأن مواجهة المواقف الحرجة مثل مقاومة الاضطرابات أو فض الشغب والإعتصامات والمظاهرات . . .

ويفرد (جمال الدين، ١٩٩٧م) جانباً من عناصر التخطيط لأمن المنشآت متضمناً مايمكن توضيحه بالشكل التالي :

١ ـ أمن الأفراد : ويشمل :

أ ـ هوية الأفراد .

ب ـ الدخول والخروج .

ـ بطاقات تحقيق الشخصية .

ـ مراقبة الأفراد داخل المنشأة .

ج ـ الحراسة :

ـ اختيار أفراد الحراسة .

ـ التدريب .

ـ مشتملات الحراسة :

ـ الأسوار ـ الأبراج ـ الإضاءة ـ دوريات الحراسة .

٢ ـ أمن المعلومات والوثائق .

٣ ـ أمن الاتصالات .

٤ ـ أمن وسائل الانتقال :

ـ دخول وخروج المركبات .

ـ أماكن وقوف المركبات .

ـ توفير المواقف .

ـ الإجراءات والتعليمات .

٧ . التنشئة الرياضية الأمن الرياضي

تعد التنشئة الرياضية Sport Socialization أحد أبعاد التنشئة الاجتماعية Socialization التي يعرفها «اليكن » Elikn عن «بأنها العملية التي يتعلم بها الفرد طرائق جماعة ـ يتعلم معها وبواسطتها كيف يمكنه أن يكيف نفسه مع ما تتطلبه أدوار اجتماعية معينة ، وما تتضمنه من تعلم واستيعاب لأنماط السلوك والقيم والمشاعر المناسبة لهذا المجتمع . وعرف «سيج » 1980 Sage (عثمان ، ١٩٧٤م) عملية التنشئة الاجتماعية بأنها العملية التي يكتسب الفرد من خلالها الاتجاهات الثقافية والقيم والأحكام الخاصة بجماعته .

وفيما يختص بالتنشئة الرياضية يرى «رينر » 1975 Rainer أن هناك ثلاث مجموعات من المصادر والآليات التي تؤدي إلى حدوث عملية التنشئة الرياضية منها :

١ ـ الأسرة (الوالدان والأبناء) كمصدر وعامل للتنشئة الرياضية .

٢ ـ جماعة الرفاق The Peers Group

٣ ـ المدرسة والمدرسون .

ويرى البعض بأن هناك مصادر أخرى للتنشئة الرياضية مثل :

أ ـ وسائل الإعلام كالتليفزيون ـ السينما ـ الفيديو ـ الصحف والمجلات .

ب ـ الأقرباء كمصدر للتنشئة الرياضية .

ج ـ البطل الرياضي ذاته كمصدر للتنشئة الرياضية (ويبرت 1984 Wibert) .

٨ . الأمن الرياضي وإدارة الأزمة

يذكر (عز الدين ، ١٩٩٠م) أن المكتبة العربية تفتقر إلى مؤلف يبحث في موضوع يعتبر من أهم موضوعات الإدارة الحديثة ، ألا وهو موضوع إدارة الأزمة ، ولا شك أن نجاح أجهزة الأمن يعتمد بصفة أساسية على قدرتها على مواكبة التطورات العلمية والعملية . التي تفرض عليها تحدياً خطيراً بإثبات قدرتها على ملاحقة العصر والقيام بالواجبات الملقاة على عاتقها في عالم متغير سريع الإيقاع .

ويرى « لويد » ١٩٨٧ ، Lioyd أن إدارة الأزمة هي عملية إدارة خاصة من شأنها إنتاج استجابة استراتيجية لمواقف الأزمات من خلال مجموعة من الاداريين المنتقين مسبقاً والمدربين تدريباً خاصاً ، والذين يستخدمون مهاراتهم بالإضافة إلى إجراءات خاصة من أجل تقليل الخسائر إلى الحد الأدنى ، ويضيف المرجع بأن هناك ثلاث مراحل أساسية للتعامل مع الأزمة هي :

١ ـ مرحلة ما قبل الأزمة : وهي المرحلة التي تنذر بوقوع أزمة ، وهي غالباً ما تكون مرحلة تتبلور فيها مشكلة ما وتتفاقم حتى تنتج عنها الأزمة .

ويمكننا في المجال الرياضي أن نسوق مثالاً لمرحلة ما قبل الأزمة بدرجة التنافس المرتفع بين فريقين ذوي شهرة كبيرة في التنافس على صدارة دوري لكرة القدم تقاربت فيه نقاط الفريقين إلى درجة كبيرة مع توقع حضور حشد كبير من الجماهير المعروفة بدرجة من التعصب ،

٢ ـ مرحلة التعامل مع الأزمة : وهي تمثل مرحلة التطبيق العملي للتدابير المعدة مسبقاً للتعامل مع الأزمة .

وفي المجال الرياضي يمكن التعبير عن مرحلة التعامل مع الأزمة من خلال تصرف رجال الأمن وكبار المسئولين عن عمليات الشرطة في إدارة أحداث الأزمة التي قد تقع بين جماهير الفريقين المتنافسين .

٣ ـ مرحلة ما بعد الأزمة : وهي المرحلة التي يتم فيها احتواء الآثار الناجمة عن الأزمة لتقليل الخسائر إلى أقصى حد ممكن .

وفي المجال الرياضي يقصد بذلك عمليات الإسعاف اللازم ونقل المصابين بالسرعة المطلوبة والعاجلة لاتمام عمليات الإسعاف الأولى (عزالدين، ١٩٩٤م).

٩ . الأمن الرياضي وسلامة المواطن

لقد أصبح توفير الأمن والسلامة لأفراد المجتمع ضرورة قومية وإنسانية باعتبارها من أهم وسائل إعداد وتنمية الموارد البشرية للمجتمع لمواجهة التحديات الحضارية ، لأن الأمم الناهضة القوية ترى مستقبلها في سلامة نشئها (فخري، ١٩٨٧).

١٠ . تأمين الملاعب الرياضية وأدوار عمليات الشرطة

تعتبر الملاعب الرياضية مركزاً هاماً تتجمع فيه العديد من فئات الشعب المختلفة الطبائع والطبقات والأعمار ، ليس هذا فحسب بل تكون هناك انفعالات ومشاعر ثائرة إما لصالح هذا الفريق أو ذاك وقد يخرج بعضاً منهم عن مشاعرهم بالثارة أو الغضب أو إلى حد التشابك بالأيدي والعصي أو الحجارة أو استخدام الآلات الحادة أو الأعيرة النارية ، ومن ثم يتضح مدى الحاجة الملحة لفرض الأمن والطمأنينة واتخاذ كافة الاحتياطات لسلامة المواطن داخل هذه الملاعب ومنع الإلفاظ النابية التي تسئ إلى شعور

المواطنون داخل الملاعب أو خارجها من المستمعين والمشاهدين على شاشات التليفزيون وللوصول بمثل هذه المباريات القائمة داخل الملاعب بصورة مشرفة وإنهائها بصورة لائقة ، وذلك لأن القصد الأول والأخير من إقامة مثل هذه المباريات هي متعة الجماهير وراحتهم النفسية للخروج بهم من مشاكل الحياة اليومية .

وليس الهدف من إقامة هذه المباريات إثارة الأضغان والحساسيات والاضطرابات بين المشاهدين ، مما سبق يتضح مدى الدور الواجب والملقى على عاتق رجال الشرطة والذي يتحتم أن تقوم به كافة القطاعات والأجهزة بالشرطة متضامنين لبذل أقصى جهد ممكن في سبيل راحة جماهير المواطنين وتجنيبهم أي عناء أو مشقة والحفاظ على سلامتهم وأمنهم .

ولا يقتصر جهد رجال الشرطة على المباريات المحلية فحسب بل إلى المباريات الدولية أيضاً المقامة بملاعبنا حتى تظهر بالصورة المشرفة واللائقة لسمعة مصر وحضارتها ومكانتها الدولية .

١١ . أبعـــاد الأمـــن الرياضـــي

تتلخص أهمية دور الشرطة في تحقيق أبعاد الأمن الرياضي وتأمين الملاعب الرياضية في الجوانب التالية : -

١ ـ من الناحية الداخلية : وتتلخص في تأمين المحافظة على الشخصيات العامة التي تكون ضمن حضور المباريات المهمة ، والمحافظة على نقل صور مشرفة عن السمعة الرياضية والسلوكية للدولة بما يتفق وحضارتها وتاريخها .

٢ ـ من الناحية الدولية : تشديد إجراءات الأمن والحراسة للوفود الزائرة